
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

حول تأسيس المدن بالمغرب القديم

ذة: ماجدة بنحيون
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الجديدة

تواجهنا عند تناول هذا الموضوع أكثر من إشكالية: إشكالية المصادر وإشكالية المفهوم ثم إشكالية الأصل، وسنركز تحليلنا على هذه الإشكالية الأخيرة.

I - إشكالية المصادر.

الملاحظ أن النصوص الأدبية الإغريقية منها واللاتانية تعجز عن إفادتنا وبشكل دقيق فيما يتعلق بهذا الموضوع، وتكتفي في معظم الحالات بتصنيف التجمعات البشرية المختلفة التي عرفتها المنطقة تحت خانة Oppidum، Polis، castellum، Xumy، Pagus، وغيرها من التسميات[1] مما يدل على جهلها بطبيعة التسميات المحلية من جهة، وبتاريخ تأسيس المدن ونشأتها بالمنطقة من جهة ثانية، زيادة على كون هذه النصوص عادة ما تخلط ما هو أسطوري بما هو تاريخي، وقد تتعدى هذه المشكلة قضية النشأة والتأسيس، فتختلف حول اسم المدينة، بل وحتى حول موقعها[2].

أما بالنسبة للمصادر الأثرية، فيمكن القول إجمالا إن التنقيبات لم تشمل جل مواقع المغرب القديم، وقد تعرضت بعض المستويات التي ترجع إلى ما قبل الرومان إلى الإتلاف، أو عدم التمييز بينها وبين المستويات الرومانية، كما لم يتم التأريخ لمحتوياتها بطريقة مضبوطة، وخاصة مع بداية الحفريات بالمغرب، حيث لم تكن طريقة التنقيب قد رست بعد على أسسها العلمية، كما أن تقنية الحفر كانت تفتقد إلى الدقة واستعمال الوثائق الشاهدة كالرسوم والصور[3]، إضافة إلى التأويلات والاستنتاجات الخاطئة التي كانت تؤدي غالبا إلى مغالطات علمية.

---

[1] -Gsell (S), Histoire de l'Afrique du Nord, ed. OSUNABRUK, 1972, T.V,P. 251- Jodin (A) , Volubilis Regia Jubae, Paris, 1987.p.205.

[2] - العميم محمد، إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا. ندوة المدينة في تاريخ المغرب العربي، 24-25-26- نونبر 1988. منشورات كلية الآداب ابن امسيك. البيضاء. 1990. ص. 62.

[3] - محمد مجدوب، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانيا في القرن الأخير ق.م، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم. 1997-1998. ص. 282.

تعترض طريق الباحث الأثري عند التنقيب عن مستويات التأسيس والنشأة للمآثر المحلية مجموعة من العراقيل، منها أن الحضارات المتعاقبة على المنطقة وعلى امتداد قرون عديدة كانت تترك بصماتها القوية والمهيمنة على تلك المدن وتطبعها بطابعها الحضاري وخاصة على مستوى العمارة. ثم إن الحفريات الأثرية لم تصل إلى مستوى الأرض البكر في جل المواقع القديمة، إضافة إلى أن مهمة التحقيب والتأريخ للمآثر المحلية القديمة- إذا ما استثنينا الخزفيات المستوردة وبعض اللقى الأثرية الأخرى- لا تتوفر على عوامل مساعدة لها، وخاصة منها قضية تصنيف الخزف المحلي الذي لم يوضع له بعد سجل أو ديوان يوضح كافة أشكاله، ولم يصنف تصنيفا كرونولوجيا حتى يصبح عنصرا مساعدا في التأريخ للمستويات الأثرية المحلية، ومنها مستويات تأسيس ونشأة المدن[4].

II - إشكالية المفهوم.

من الأكيد أن مفهوم المدينة قد اختلف من حقبة لأخرى، ومن حضارة إلى حضارة، وأن عوامل متعددة قد ساهمت في تطور هذا المفهوم عبر الزمن.

إذا أخذنا مدن الشرق القديم كنموذج، نتبين أن العامل الديني أساسا، ثم العامل الاقتصادي الذي يتجلى في الاستقرار والتجمع في مواقع ملائمة، ثم القيام بأعمال جماعية كأعمال الري، وتصريف مياه المستنقعات، وشق غرين مياه الأنهار، وممارسة أنشطة فلاحية وحرفية وغيرها من الأعمال، كان وراء قيام المدن بهذه المنطقة، حيث برزت إلى الوجود منذ ما قبل التاريخ، وظهرت بشكل جيد منذ حوالي 3500 ق.م.حسب ما ذهبت إليه مجموعة من الدراسات. والراجح أن مدن الشرق القديم قد قامت أصلا كمراكز للعبادة، حيث كانت الجماعة المكونة من أقلية من العمال غير الزراعيين، والتي تعيش على الفائض من المنتوج الزراعي للأغلبية، تلتقي في أوقات معينة للقيام بطقوس دينية، ولتنظيم أعمالها العامة. ولكن مع مرور الزمن تطورت هذه المراكز لتصبح مدنا بارزة حيث أحاطت عدد من المنازل بالمعابد وتزايد عدد الأقلية غير الزراعية، ووزعت الوظائف بين الكهان والإداريين وكتابهم ومرافقهم.

لقد أظهرت الدراسات أن مدن الشرق القديم كانت مقسمة إلى قسمين رئيسيين: قسم أول حيث القصر والمعابد ومقرات الموظفين، وقسم ثان يشمل الضاحية، وأن القدماء يميزون بين المدينة والضاحية، كما كانوا يحيطون مدنهم بالأسوار التي تعتبر الصفة المميزة للتمدين في العهد القديم،وخير مثال على ذلك

[4] - محمد العميم، نفسه، ص.63 .

أسـوار أوروك التـي تغنـى بهـا كلكـامش فـي ملحمتـه، وبيـن أهميتهـا، وأشـار إلـى مـواد بنائها[5]

أمـا مفهوم المدينـة عنـد الإغريـق[6] والرومـان[7] فيختلـف هـو أيضـا بـاختلاف المناطق والعوامل والفترات الزمنية. لكن يظهر أن العامل الديني في نشأة المدينـة أمـر لا جدال فيه كما تثبت لنا ذلك الأساطير المرتبطة بالتأسيس،[8] وإن كـان البعض يـربط بين ظهورها ومستوى التحضر في منطقة معينة، حتى أن استرابون مثلا قد انتقد عددا من المؤرخين لأنهم صنفوا مجموعة من القرى komai في خانة المراكز الحضرية[9].

5- تقول الملحمة:« هو الذي بنى أسوار أوروك، فانظر إلى سوره الخارجي تجد شرفاته تتألق كالنحاس، وأنعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شئ، واستلم أسكفيته الحجرية الموجودة منذ القدم [ويعني بالأسكفية العتبة العليا من الباب]، اعل فوق أسوار أوروك وامش عليها، تفحص أسس قواعدها وآجر بنائها، وتيقن، أليس بناؤها بالآجر المفخور؟ »

حول مدن الشرق القديم راجع الدراسات التالية: -ليوونهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرازق، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد.1976.ص.139-140- أرنولد توينبي، تاريخ البشرية،ج.1، نقله إلى العربية نيقولا زيادة، مطبعة الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت،1985. ص .75- 82، 180 - 185 - 189.- طه باقر، ملحمة كلكاميش،بدون تاريخ . ص38.

-Lees and falkon ,The geographical history of mesopotamain, in, geographical journal vol.118.1952.pp.24-39

-Gordon child , De la préhistoire à l'histoire, Gallimard.1961.p.120-124.

Lewis Mumford , La cité à travers l'histoire,ed.Seuil,1964.

6 ـ أوردت المصادر الإغريقية مصطلح "Polis" بمفاهيم مختلفة، وهي في حد ذاتها تمثل مراحل مختلفة من تطور المدينة، فهي عند هوميروس تفيد التجمع السكاني، وهي عند هيرودوت وكزينوفون تطلق للتمييز بين بلاد الإغريق والبرابرة في حين يجعلها أرسطو نتيجة الوحدة السياسية بين مجموعة من القرى. عن مفهوم المدينة عند الإغريق.ارجع إلى الدراسات التالية:

-Glotz (G) , La cité grecque, ed.Albin Michel,Paris,1953.

-Finley (M) , Les premiers temps de la Grèce, ed.champs Flammarion,Paris,1980.

-Effenttere (H.V.) , La cité grecque des origines à la défaite de Marathon, ed . Hachette , Paris.1985.

- Vernant (J.P),Les origines de la pensée grècque , ed.PUF, Paris, 1983.

7 - حظيت مدينة روما بنصيب هام من تآليف القدامى والمحدثين، انظر في هذا الشأن:

-Polybe , Histoire, TET par Roussel, Paris, La pléade.1970.

-Tite Live, Histoire Romaine, Trad.Nouvelle par E.Lassère, ed.Garnier.paris 1943-58.

-Block (R) , Tite Live et les premiers siècles de Rome, ed . les Belles Lettres. paris , 1965

- Idem, Les origines de Rome , Que sais – je , ed . PUF, Paris, 1971.

-Nicolet (C) , Rome et la conquête du monde méditerranéen, T.1 ; les structures de l'Italie Romaine, ed.PUF.Paris1977.

8 - Gras (M) , La Méditerranée archaïque, ed.Armand Colin 1995.p89.

9 - Strabon, Géographie, III, 4,13 .

وإذا كـان هـوميروس يركـز علـى العامـل الجغرافـي فـي نشـأة المدينـة[10] فـإن أرسـطو يركـز علـى العامـل السياسـي، حيـث أن مفهـوم المدينـة يـرتبط بالمؤسسـات السياسية والإدارية التي تضمن حقوق المـواطن ضـمنها[11] ، في حين يركـز استرابون على عامل الاستقرار وممارسة أنشطة زراعيـة وحرفيـة[12] ، ولكن بوزانيـاس يذهب أبعد من ذلك ويركـز علـى العامل الفنـي، حيث أن المدينـة تتطلب عنده وجـود طـابع هندسي فني حتـى أنـه قد أبعد صـفة POLIS عن مدينـة صـغيرة ببلاد الإغريق لأنهـا حسب رأيه لا تتوفر على دعائم ذلك كالبنايات الخاصة والمسرح[13].

وعلى العمـوم نجـد أن مصطلح POLIS أطلـق اعتباطيـا علـى مجموعة من القرى والضيعـات، حتـى أن بوليبيـوس كـان يطلقـه علـى القـرى أكثـر منـه علـى المـدن[14] وقـد تبعـه فـي ذلـك مـؤرخـون لاحقـون أمثـال استرابـون[15]، وأبيانـوس[16] وغيرهم.

أما اللاتانيون فقد استعملوا مصطلح URBS[17] و OPPIDUM[18] للإشـارة إلـى المـدن تمييـزا لهـا عـن CASTELLUM[19]، وعـن PAGUS[20] ، وعـن VICUS التـي كان يستعملها تيتيوس ليفيوس مثلا للإشارة إلى القرى والضيعات[21].

وهكذا يظهـر أن مفهـوم المدينـة لـم تكـن لـه ثوابـت مضـبوطة، حتـى ان حجـم المدن وكثافتها ووظائفها ومظاهرها المعمارية لـم تكـن مـن المعـايير المتفـق عليهـا فـي جل الحضارات.

10- Homère, ATT dictionnaire Grec Français, Bailly, Hachette, 1894, p 1586- 1587.
11- Aristote apud Finley, L'économie antique, ed.de minuit 1975.p 166.
12- Strabon, Géographie III, 4,13.
13- Pausanias, L'ATTIQUE, Texte établi par M.Gasevitz, Traduit par J.Pouilloux et Commenté par F.Chamoux, ed.B.L.paris 1992, XX, 4,1.
14 - Polybe, Histoire XIV, 1,7.
15- Strabon ; III, 4,13 et XII, 3,15.
16 - Appien Lib.68.Roman History, English translation by White, LCL, 19R-3.
17- Ciceron, République, TET par E.Breguet.Paris BL.1980, I, 41. Virgile, Enéade, texte établit par H.Golzer et Traduit par A .Bellessort.Paris .BL.1952, V, 755.
18- Cicéron, République, op cit. .I, 41.et Tite live, Histoire Romaine, op cit. XLII 36.et Desanges, Commentaire de Pline in, Histoire Naturelle.T.V.ed.les Belles lettres.paris 1980.pp.279-280.
-Jodin , Volubilis Regia Jubae,Paris 1987.pp.207-209.
19- سالوست، حرب يوغرطة.ترجمة دراسة وتعليق محمد التازي سعود. فاس 1979 فقرة: 54-87-89.
20 - Tacite , Annales, TET.par P.Wuillemier.Paris.BL.1975-1978.I.56.
21- Tite Live.XXIX, 30,7.

III - إشكالية الأصل.

1 - فرضية الأصل الفينيقي - القرطاجي.

يرجع بعض الدارسين تأسيس مدن المغرب القديم إلى الفينيقيين والقرطاجيين اعتمادا على إشارات نصية متباينة، وعلى لقى أثرية مختلفة.

وردت الإشارة إلى مدن فينيقية مع هيكاتي المليتي في القرن السادس قبل الميلاد[22] ومع الرحلة المنسوبة لسكولاكس[23]، ووردت الإشارة إلى المستوطنات القرطاجية بالمنطقة مع رحلة حانون[24] وتكررت الإشارة للمدن الفينيقية بالمنطقة مع ديودور الصقلي في القرن الأول قبل الميلاد الذي أورد "أن الفينيقيين لم يتوقفوا عن ركوب البحر للتجارة منذ عهد بعيد، وأنهم قد أسسوا كثيرا من المستوطنات على سواحل ليبيا"[25].

أورد استرابون ومع نوع من التحفظ "أن الفينيقيين وصلوا لما وراء أعمدة هرقل وأسسوا بهذه النواحي بعض المدن، كما أسسوا أخرى بأواسط ساحل ليبيا بعد حرب طروادة بزمن طويل"[26]، لكنه استبعد كليا الأسطورة التي تروي أنه قد أنشئت سالفا بالخلجان التي تلي الأمبوريك مستوطنات فينيقية مهجورة يقدر عددها بثلاثمائة مدينة[27]، لكونه كان يعلم كما ورد في النص أن الأساطير العديدة التي اختلقها المؤرخون بصدد شاطئ ليبيا، أساطير كاذبة[28].

بالإضافة إلى ذلك ورد في الروايات القديمة أن قادس وليكسوس المقامتين على الساحل الأطلسي وراء أعمدة هرقل، من بين أقدم المستوطنات الفينيقية بغرب المتوسط، حيث أن Veleius Paterculus يرجع إنشاء معبد هرقل بقادس، إلى تاريخ جد محدد وهو 1100 ق.م. في حين يرجع معبد ليكسوس إلى تاريخ أبعد من ذلك[29].

وإذا كنا على استعداد لقبول ما جاء في هذه النصوص، فلا بد من قبول كون الفينيقيين بدأوا يعرفون السواحل الإفريقية قبل نهاية القرن الثاني عشر ق.م. ببعض الزمان[30]، غير أن المعطيات الأثرية تفند لحد الآن هذا الاحتمال، حيث لا يتعدى

22- Hécaté de Milet.apud Roget , Le Maroc chez les auteurs anciens, ed.BL, 1924.p.15.

23 - Périple de Scylax.112.

24 - Hannon.1, 2 5.

25- Diodore de Sicile ;V,20. Bibliothèque historique, Trad.Hoefer, ed.Hachette.Paris 1912.

26- Strabon, I, 3,2.

27- Idem.XVII, 3,3.

28- Ibid.

29- Jodin (A) , Carthage et le Maroc Phénicien, BAM.XI.1978.p.65.

30 - كزيل: تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، الترجمة العربية.ج.1.ص.927.مرقون.

تاريخ أقدم المكتشفات الفينيقية بليكسوس القرن الثامن قبل الميلاد[31] .

وفي نفس الصدد دائما يخبرنا ديودور الصقلي أن الفينيقيين استطاعوا الوصول إلى هذه السواحل للمتاجرة مع الأهالي مكتفين أول الأمر بزيارات طويلة، ثم بعد ذلك أسسوا متاجر دائمة[32].

بمقابلة هذه الشواهد النصية نقف على الاستنتاجات التالية:

أ - إن الفينيقيين تجار، ويقومون بدور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، وكان لا بد لهم من إتباع طريقة المساحلة، للعودة إلى مراكزهم، والتوقف في مراكز ومحطات للتمكن من اللجوء إليها ليلا أو التزود بالمياه، أو للاحتماء بها عند حدوث عواصف بحرية، أو للاستراحة من العناء وإصلاح أعطاب السفن، وهو ما جعل بعض الباحثين يذهبون إلى القول بأن مراكزهم الأولى على الساحل المغربي كانت عبارة عن محطات على الطريق المؤدية بهم إلى البعيد (أي إسبانيا)[33].

ب - إن تحديد مكان تشييد المركز التجاري، الوكالة، المرفأ، أو المحطة سواء للقيام بالتجارة مع الأهالي أو للاستقرار، كان يخضع لمتطلبات مضبوطة، كتوفر ساكنة محلية قابلة للتعامل التجاري أولا، ثم توفر مكان مساعد على الرسو حيث الشاطئ المنبسط أو النهر ثانيا[34].

ج - أن هذه المصطلحات المتباينة تفرض علينا بالتالي التساؤل عن مفاهيمها، فماذا نعني بالمركز أو المرفأ مثلا: هل هو مخزن للسلع فقط ؟ هل هو بناية جديدة في موقع جديد ؟ أم هو جزء فقط من موقع قديم؟ ألا يمكن أن يوجد المركز في مكان مأهول من قبل السكان المحليين؟ أو إلى جانب موقع محلي قديم فيتخذ اسمه؟

تصعب الإجابة على هذه الأسئلة بدقة متناهية، وإن كان المنطق يفرض علينا أن نقبل أن اختيار الملاحين والتجار الفينيقيين ومن بعدهم القرطاجيين لأماكن إقامتهم لم يكن مرتبطا فقط بالظروف الملاحية وخاصيات المرسى، ولكن أيضا بظروف وشروط التبادل التجاري الممكن إقامتها مع السكان المحليين المقيمين أصلا بتلك المحطات والمرافئ الساحلية[35].

31- Habibi (M) , la Céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, EFR, 166. 1992 p .145-153.

32 - Diodore de Sicile.V.35.

33 - Thouvenot, La cote océanique du Maroc, BEPM.1951.p.48.

34 - العزيفي محمد رضوان، وادي مرتيل خلال العصور القديمة ومسألة عزل جبال الريف للمغرب عن العالم المتوسطي، ندوة الجبل في تاريخ المغرب. منشورات كلية الآداب. سايس. فاس. 1994.ص.14.

35 - Février (P.A.), Les origines de l'Habitat urbain en Maurétanie Césarienne.J.S. 1967. P.107-123.

-Idem. La recherche archéologique en Algérie et l'Histoire ancienne du Maghreb .RHCM. 1968. N° ; 5.p.16-36.

إن ما يزكي هذا الطرح نص هيكاتي الملتي الذي أخذ الحذر في تمييزه بين مدن ليبية فينيقية، ثم مدن ليبية، وهو حذر له ما يبرره بشان وضعية هذه المراكز التي يبدو أنها كلها في وضعية واحدة، وهذا ما نستشفه من آراء أحد المحدثين الذي يذهب إلى صعوبة تحديد التجمعات الفينيقية ويتساءل ما إذا كانت هذه الأخيرة ومنذ الفترة الكلاسيكية تتوفر على تنظيم حضري خاص بها[36]؟

إننا إذا أخذنا ليكسوس كنموذج للمركز، أو المحطة الفينيقية، سنتبين أنها كانت تقوم بدور المستودع الذي تنزل فيه السلع الفينيقية، ومنها توزع على مختلف محطات السواحل المغربية التي وصلها التجار الفينيقيون. إنها كانت تلعب دورا المرفأ أو المخزن الكبير الذي يقوم بتحديد نوعية وعدد البضائع التي تطلبها الأسواق المحلية، وفي نفس الوقت المخزن الذي تخزن به المواد المحلية التي ستحمل إلى فينيقيا فترة الرجوع [37].

صحيح أنه عثر على مستويات فينيقية في كل من ليكسوس و إمسة و سيدي عبد السلام دلبحار و سلا وموكادور وطنجة وغيرها، كما تم الوقوف بمجموعة من المدن على مظاهر حضارية بونيقية تجسدت في المؤسسات السياسية وفي اللغة والمعتقدات أيضا[38]، لكن هذا لا ينفي الأصل المحلي لها، خاصة وأنها بقيت منفتحة عل التيارات الحضارية لعموم حوض البحر الأبيض المتوسط[39].

لقد أثبتت الأبحاث الأثرية أن المراكز التي كانت تنسب في تأسيسها إلى الفينيقيين والقرطاجيين كانت عبارة عن تجمعات سكنية محلية، وأن الفينيقيين والقرطاجيين عملوا فقط على إنشاء وكالات تجارية بها تستجيب لأغراض التبادل التجاري[40]. وبفضل العلاقات التجارية مع هؤلاء التجار، ومع مناطق عديدة من

---

36 - « Ces agglomérations phéniciennes que nous ne savons pas vraiment comment appeler pour ne pas les assimiler abusivement ou prématurément avec des cités, avaient-elles dès l'époque archaïque une organisation urbaine spécifique ? » in.Michel Gras , La Méditerranée archaïque, ed. Armand Colin.1995.p.88.

37 - العزيفي محمد رضوان: مستوطنة ليكسوس الفينيقية في الكتابات القديمة والحديثة.محاولة لرد الاعتبار. المصباحية. العدد.1 .1995.ص.31.

38 - Euzennat (M) , Héritage punique et influence gréco-romaine au Maroc à la veille de la conquête romaine.8°ème congrés international de l'archéologie classique.Paris 1963.p.261-278.

39 - Morel (P) , Céramique à vernis noir du Maroc.A.Af.2.1968.p.55-76.
- Février (P.A), Origine de l'habitat urbain.op.cit.p.120.
- Boube (J) , Céramique à vernis noir de sala.BAM.16.1985-86.pp.121-190.

40 - Février.Idem.p.120.
- Idem.La recherche Archéologique .op.cit.p.22.
- Euzennat (M), Héritage.op.cit.pp.261-278.

حوض البحر الأبيض المتوسط[41]، توسعت تلك التجمعات السكنية وشهدت تطورا في المجال العمراني والأنشطة الاقتصادية[42].

وعموما يمكن القول، إن عمل التجار الفينيقيين وتأسيسهم لمراكز ووكالات تجارية بالمفهوم الضيق للكلمة كان متوقفا بالدرجة الأولى على وجود مراكز للتجمع السكني تستهلك المنتوجات الفينيقية وتشجع على التبادل التجاري[43].

2 - فرضية الأصل الروماني:

يعتقد البعض أن طبيعة شمال إفريقيا تشكل ملاجئ طبيعية تتمثل في المرافئ والقلاع والحصون وغيرها، وهي أماكن تتوافق ونمط عيش السكان المحليين الفلاحين منهم والرعاة، وأن هذه المرافئ والقلاع والحصون تحولت في ظل السلام الروماني والحضارة الرومانية إلى مدن حقيقية [44].

والواقع أن المسلمات التي كانت ترى في شمال إفريقيا قبل العهد الروماني منطقة خاصة بتحركات القبائل الرحل ومنعدمة المراكز الحضرية لم تعد مقبولة [45]، كما أن ظاهرة السلام الروماني[46] ظاهرة وهمية اختفى وراءها الرومان لتحقيق مطامعهم في المناطق التي استولوا عليها. وما إنشاؤهم المستوطنات، وتحويلهم مجموعة من المدن إلى معسكرات وإخلاء البعض منها، وإقامتهم المشاريع إلا وسائل من أجل غرس المعمرين ومظاهرهم الحضارية بالمنطقة[47].

إن الرأي القائل بتحويل القرى والقلاع إلى مدن حقيقية في ظل السلام الروماني[48] يستند على خلفيات واضحة[49]، وعلى نتائج الأبحاث الأثرية التي أجريت بشمال إفريقيا في بداية القرن العشرين والتي وضعت البحث عن الحضارة الرومانية

41- Morel. (J.M) Céramique.op.cit.pp.55-76.

42 - Morel (J.P) et Autres,Thamusida.I.pp.62-68.etpp.108-110.

43 - Morel. (J.P.)Céramique.op.cit.pp.55-76.

ماجدة بنحيون، الممالك الأهلية بشمال إفريقيا خلال القرن الأخير قبل الميلاد. رسالة دبلوم الدراسات العليا. فاس.1989-1990.ص.352-419.مرقونة.خزانة كلية الآداب.ظهر المهراز. فاس.

44 - Gsell (S) , H.A.A .N. T .V.p.244.

45- Benabou (M) , La résistance africaine à la romanisation, ed.Maspero, Paris .1976.p.397.

46 - Berr (H) , En marge de l'histoire universelle,paris 1953.2.p.5.

-Piganiol (A) , Histoire de Rome, paris 1962.5ème édition.p.1.

-Carcopino (J) , Les étapes de l'impérialisme romain, paris.1961.

47 - ماجدة بنحيون، الممالك الأهلية بشمال إفريقيا.مرجع سابق.ص.353-355.

48 - Gsell(S) , H.A.A.N.T.V.p.240.

49 - Picard (G) , La civilisation de l'Afrique romaine, paris 1959.

بالمنطقة هدفا لها[50].

لقد أشارت المصادر السابقة للمرحلة الرومانية إلى مجموعة من المدن الموزعة على طول السواحل المغربية، بل تمت الإشارة حتى إلى تلك التي توجد بالمناطق الداخلية كما هو الشأن مع جيلدا GILDA التي انفرد بذكرها ألكسندر بوليهستور في القرن الأخير قبل الميلاد[51]، كما أوردت مصادر المرحلة الرومانية إشارات متفرقة عن مدن المنطقة يستفاد منها أن جل مدن المغرب مدن قديمة النشأة، وأن الرومان قاموا بتحويل البعض منها إلى مستوطنات رومانية.

وفي هذا الصدد أشار بومبونيوس ميلا إلى طنجي التي جعلها قديمة النشأة، ثم إلى جلدا ووليلي وبريسيانا وسلا وليكسوس، التي جعلها مدنا متواضعة، لكنه لم ينسب للرومان إلا مستوطنة واحدة هي مستوطنة زيليس ZILIS [52] التي سبقت الإشارة إليها مع سترابون[53].

وإذا كنا نعلم أن إنشاء المستوطنات يقتضي اقتطاع أراضي المدن القديمة وتخصيصها للمستوطنين الرومان، فسنكون على بينة من طابعها الاستعماري المتمثل في التنظيم الإداري للمستوطنة وخلق مجالات فلاحية مجاورة لها تساعد على الاستقرار والاستغلال[54]، خاصة وأن قاعدة ساكنتها كانت تتكون من الجنود المسرحين والمعمرين[55]، ورجال الأعمال والوسطاء، والملاكين العقاريين[56]، والتجار، إضافة إلى بعض ذوي النفوذ السياسي كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين[57].

---

[50] - Février (P.A), Origines.op.cit .pp.107-123.
- Idem.Rcherches.op.cit.pp.22 et suiv.
-يمكن الرجوع إلى بعض الدراسات المونوغرافية التي أنجزت في تلك الحقبة ونخص بالذكر منها:
Thouvenot (R) , Valentia Banasa.Paris 1947.
-Idem. Volubilis.ed.BL.1949.

[51] - راجع إشارات هاته النصوص فيما يتعلق بالموضوع ضمن مؤلف المصطفى مولاي الرشيد: المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، القرن السادس.ق.م. القرن السابع.ب.م. شركة النشر والتوزيع المدارس. البيضاء.1993.ص.12-33.

[52] - Méla , I,5.III,10.

[53] - Strabon , III, 1,5.

[54] - سعيد البوزيدي، الاستغلال الفلاحي بموريطانيا الغربية،دكتوراه الدولة في التاريخ القديم.2000- 2001. ص.96.

[55]-Coltelloni-Trannoy .M. Le Royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée,paris 1997.p.123-129.

[56] - البوزيدي، الاستغلال الفلاحي، مرجع سابق.ص.104.
- Hesnard (A) et Le Noir (M) , les négociants italiens en Maurétanie Tingitane avant l'annexion .CIH. Histoire et archéologie de l'Afrique du Nord. IIè colloque international, Grenoble.5-9.Avril 1982.paris .1985.p.49-50.

[57] - Benabou (M) ; Résistance.op ; cit.p.51.

ولا غرابة إذا كان بلينيوس الشيخ قد بدأ حديثه عن موريطانيا بعد تحديد الإطار الجغرافي لها بتناول الإطار القانوني لتبعية هذا الإقليم للرومان، وبالحديث عن تاريخ تأسيس المستوطنات الرومانية موضحا صفتها القانونية[58] وهي: طنجي وليكسوس وبابا وبناسا وزيليل، حتى أن عددها يوازي عدد المدن المتبقية ضمن لائحته وهي: ليسا وكوطا المندرستان حسب ما ورد في النص[59]، ووليلي وسلا اللتين أصبحتا مستوطنتين رومانيتين حسب ما أوضحته مسالك أنطونينوس[60]، ثم تمودة المدينة التي كانت موجودة على نهر يحمل نفس الاسم حسب ما ورد عند بلينيوس[61]، وقد أنشئ بها معسكر روماني بعد التدمير النهائي الثاني الذي تعرضت له على ما يبدو أثناء ثورة أيديمون حسب ما ذهب إليه موريس لونوار[62].

صحيح أن الاستيطان الروماني بشمال إفريقيا قد ارتكز على المدن والحواضر، غير أن مقاومة الأهالي والقبائل المحلية للرومان لها دور كبير في انكماش المستوطنين على أنفسهم داخل هاته المدن، وهكذا وجهوا جهودهم لتطويرها وتطوير مرافقها العمرانية[63] .

إننا إذا استثنينا بعض المراكز التي أنشئت في الأصل كمعسكرات رومانية، فإن روما على عكس الفرضيات السابقة لم تقم بتشييد المدن وتأسيسها بالمنطقة، بل إن المدن المحلية وبحكم الاستيطان الروماني بها قد تبنت طابع العمارة والفن

---

58 - البوزيدي، الاستغلال الفلاحي، مرجع سابق.ص.95-97.

59 - Pline.V.2.

أكدت الحفريات التي أجراها بونسيك ومنذ سنة 1959 أن موقع كوطا الموجود بضاحية طنجة قد كان مركزا مهما لصناعة الكاروم، أنظر:

Ponsich (M) et Tarradel (M) , Garum et industries antiques de salaison dans la Méditerranée occidentale, paris 1965.p.55-68.

-Ponsich. Recherches.op.cit.p.207-212.

وانظر أيضا ماجدة بنحيون، مساهمة المصادر الأثرية في الكشف عن بعض الجوانب المجهولة من اقتصاد المغرب القديم، ندوة المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ابن امسيك، الدار البيضاء. 1988.ص.155.

60 - Itinéraire, 2.3.

61 - Pline .V.18.

62 - Lenoir (M) , Le camp de Tamuda et la chronologie de quelques camps du Maroc,IV.Coll.internat. De l'histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T.II.Strasbourg 1988.pp.355-365.

63 - العميم محمد، قبائل المغرب القديم خلال القرنين الأول والثاني للميلاد،رسالة دبلوم الدراسات العليا، فاس. 1988-1989 ، ص.209-222.

المعماري الروماني[64]، وهذا ما جعل بعض الباحثين يربطون بين ظاهرة التمدين القديمة العهد بالمنطقة ومرحلة الوجود الروماني بها[65].

إن علينا ألا نغفل أن الصراعات العسكرية وسياسة الأرض المحروقة التي نهجها الرومان بشمال إفريقيا أثناء استيلائهم على أراضيها ووضعهم حدا لممالكها قد عادت بالخراب الجزئي[66] أو الكلي[67] على عدد من المدن والحواضر بالبلاد، حتى أن أحد الباحثين قد أوضح أن وصول الرومان إلى المنطقة كان على عكس ما يتصوره الجميع كارثيا إذ أن أغلبية المدن قد اختفت[68].

والجدير بالذكر أن جل المدن والمراكز الحضرية التي اعتبرت رومانية، إن لم نقل كلها، قد قامت على أنقاض المدن الموريطانية القديمة[69]، وهي مدن محلية النشأة، انفتحت منذ فترة مبكرة على المؤثرات الأجنبية[70]، وصهرت هذه المؤثرات في قالب محلي.

3 - الأصل المحلي.

الراجح أن المنطقة كانت تعرف بوادر نشاط عمراني منذ فترة موغلة في القدم، وهذا ما نستشفه من نص لديودور الصقلي يورد فيه " أن الأطلسيين رعايا الملك أطلس هم أكثر الليبيين حضارة، يمتلكون أرضا مزدهرة ومدنا كثيرة "[71] و" إن الأطلسيين كانوا يعتقدون أن أورانوس هو أول من حكم بلادهم، وأقام لهم مدينة

---

64 - Leveau (PH), L'Urbanisme des princes clients d'Auguste, l'exemple de Caesarea de Maurétanie, Coll.E.F.R. n° 66. 1983. pp.349-354.

65 - Courtois (Ch.), Les Vandales et l'Afrique, paris 1955.PP, 109-111.

66 - Akerraz (AO) et Autres, Fouilles de Dchar Jdid, PP.195-197.

67 - Tarradel (M) Marruecos punico,Tetuan 1960,p.114.

68-Idem. Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, Région de Tetouan.BAM.6.1966.p.431. « L'arrivée des romains est par contre catastrophique, la majorité des sites disparaissent. »

69 - ماجدة بنحيون، الممالك الأهلية، الفصل الخاص بالعمارة والتعمير،ص.352-414 .

70 - Euzennat (M), Héritages.op.cit.p.261-262 .Jodin ;Carthage et le Maroc, p,71

لقد أثبتت الأبحاث الأثرية أن الانتقال من الطابع البونيقي إلى الطابع الروماني قد تم إعداده وتسهيله بواسطة مرحلة انتقالية منذ القرن الثاني ق.م. تبلورت خلالها حضارة محلية يعرفها طاراديل بالحضارة البونيقية الموريطانية.(in ;Maruecos punico,Tetuan.1960.) ويفضل أوزينا تعريفها بالحضارة الموريطانية حتى لا يعطي دورا كبيرا للمؤثرات البونيقية.(- Héritage punique, p.261 262). وهو ما ذهب إليه أيضا روبيفا Rebuffat ، حيث يقصي المرحلة البونيقية من جدول المراحل التي مر منها تاريخ المغرب، ويعتبر أن المرحلة الموريطانية تمتد من القرن 12.ق.م. حتى سنة 40 م. وهي بذلك تشمل 1140 سنة. أنظر:

-Rebuffat (e), Pour une histoire événementielle du Maroc antique ,Actes des 1ères. Journées Nationales d'archéologie et du patrimoine, Volume 2 .SMAP .2001.p.25.

71 - Diodore de Sicile.3, 45 ,4-5.

وأحاطها بسور، إذ جمع فيها رعاياه الذين كانوا يهيمون في الأرض وسن لهم القوانين وعلمهم إنتاج الزرع والاحتفاظ به "[72].

وإذا كان البعض يعتبر نص ديودور الصقلي هذا من بين النصوص الأسطورية التي تحكي عن أمجاد الحضارات الغابرة[73]، إلا أننا نستشف ضمنه تحولا في نمط عيش السكان القدامى وتدشينهم حياة حضرية ضاربة في القدم، وهذا ما أيدته النصوص الأدبية اللاحقة والأبحاث الأثرية.

أشارت نصوص الجغرافيين والمؤرخين القدامى إلى عدد من مدن الشمال الإفريقي منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى أن المتمعن في تصنيف هيكاتي المليتي يتبين أن الغالبية العظمى من المدن التي ذكرها صنفت على أساس أنها مدن ليبية (أي مدن محلية)[74].

أما بالنسبة للمستوطنات القرطاجية التي أشارحانون إلى إنشائها على ساحل المحيط الأطلسي[75]، فيؤكد البعض أنه لا أثر لها[76]، ويماثل البعض الآخر بينها وبين مواقع متعددة على الساحل، كإيجاد علاقة بين Gutte و Cota الواردة عند بلينيوس[77] ، خاصة وأن الموقع كان نواة حضارية منذ ما قبل التاريخ[78]، ثم الربط مثلا بين أرامبيس وزيلس انطلاقا من أن التسمية تعني في اللغة المحلية الكرمة القصيرة ذات العروش المتعددة[79].

لقد قسم مارسي Marcy المواقع الواردة في الرحلة إلى قسمين اثنين: قسم أول احتفظ بلغته المحلية وهو الممتد ما بين تومیا وثيريون وكرني ، وقسم ثان ترجمت أسماء مواقعه إلى الإغريقية وهو الممتد جنوب كيرني[80]، وهو ما يجعلنا نستنتج أن حانون قد أقام مستوطناته في أماكن كانت مأهولة بالسكان المحليين ولها أسماء معروفة.

لقد ذهب بول شميدت في نفس المنحى مبينا أن حانون وجد نفسه أمام مدن كانت موجودة من قبل، وإلا لماذا سمى واحدة منها بالجدار الكاري ؟ لا بد وأنه قد عثر بالفعل على منشآت سابقة ذات نمط هندسي معين ينسب للبحارة الإيجيين

---

[72] - Idem.3, 56.3-5.

[73] - محمد مجدوب، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانيا،ص.278-279 .

[74] - العميم محمد،إشكالية أصل المدينة، مرجع سابق،ص.64 .

[75] - Hannon.2, 5.

[76]- Gsell (S),H.A.A.N.T.I.pp.480-483.et T.2.pp.176-178.

[77] - Pline,V.2.

[78] - Ponsich (M) , Les Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger,1976.p.141.

[79] - Rousseaux , Hannon au Maroc, RA.T, XCIII,1949,p.210.

[80] - Marcy , Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, Héspéris T.XX.fasc.I.II.1935.

الكاريين[81] ، وهو ما ذهب إليه جودان أيضا، حيث افترض وصول بحارة إغريقيين إلى السواحل الأطلسية قبل الفينيقيين بفترة طويلة[82]، خاصة وأن بعض مواقع المغرب القديم كانت معروفة في النصوص الإغريقية القديمة[83].

وتشير الرحلة المنسوبة لسكولاكس إلى مدينة أكروس التي لا يمكن أن تكون حسب ديزانج Desanges غير روسادير أي مليلية[84]، وإلى مدينة أخرى بعد رأس أبيلا في مقابلة جزر قادس. وقد اقترح البعض جعلها في القصر الصغير[85]، في حين ماثل البعض بينها وبين بونتيون[86] . إضافة إلى ذلك أشارت الرحلة إلى مدينة ليكسوس وميزتها بكونها مدينة فينيقية، لكن أشارت إلى مدينة أخرى بعد نهر ليكسوس لم تذكر اسمها وجعلتها مدينة ليبية[87]. كما أشارت الرحلة إلى تومياتيريون الفينيقية، ونحن نعلم أنها أولى مستوطنات حانون بعد اجتيازه لأعمدة هرقل[88]، وقد ذهب البعض إلى المماثلة بينها وبين المهدية[89].

والملاحظ أن تمييز نص الرحلة بين مواقع فينيقية وأخرى ليبية يزكي فرضيتها حول الأصل المحلي لجل هاته المواقع القديمة، خاصة وأن الاختلاف قد كان يحصل حول اسم نفس الموقع وحول طبيعته بل وحتى أصله وموضعه كما هو الشأن مثلا مع كريكون تايخوس < الجدار الكاري>، التي جعلتها رحلة حانون مستوطنة قرطاجية، في حين أشار إليها إيفور كمدينة ليبية ووطنها بشمال أعمدة هرقل[90]

توالت الإشارات إلى مدن المغرب القديم مع بوليبيوس[91] والكسندر

---

[81] - Schmith.(P) ,La plus ancienne carte géographique du Maroc, BAM. XI .1978.p.89.

[82] - Jodin (A), les grottes d'elkhril à Dchakar, province de Tanger, BAM.III. 1959, p.249.

-Idem. Les grecs d'Asie et l'exploration du littoral Marocain, in hommages à G.Bellido.2.Madrid, 1976, p.90-91.

[83] - Homère, Odyssée,I, 48, et Pindare.III, 26.

[84]- Desanges. (J), Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique , E.F.R.38,1978, p.108.

[85] - Gsell (S) , H.A.A.N.t.II,p.186.

[86] - Thouvenot , La côte océanique du Maroc, p.43.

الملاحظ ان ديزانج يوطن مدينة بونتيون في تاهادارت :أنظر:

Desanges.Recherches.op.Cit.p.113.

[87] - Scylax.III.

[88] - Hannon.2

[89] - Rebuffat.(R) et autres , Thamusida,I.E.F.R.suppl.2,1965,p.58.

[90] - ارجع إلى مصطفى مولاي رشيد، المغرب الأقصى، ص.17

[91] - Polybe, in Pline liv.V.9-10.

بوليهستور[92] واسترابون[93] وغيرهم، وهكذا نتبين أن ظاهرة التمدين قديمة قدم المنطقة نفسها، ونفترض أن عدد مدن المغرب القديم كان أكثر مما هو عليه في المصادر، وأن الإشارة للبعض منها دون الأخرى يرجع إلى أن لغة البعض منها كانت مستعصية في النطق على الأجانب، أو لكونها كانت مدنا بعيدة عن التيار الحضاري المتوسطي آنذاك، أو ربما قد تعرضت للتخريب، أو أنها كانت مدنا صغيرة أو قليلة الأهمية.

بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه حتى المدن التي انفردت بذكرها مصادر تنتمي للمرحلة الرومانية كسلا ووليلي وبناسا[94]،وتمودا التي أوردها بلينيوس الشيخ [95] وتموسيدة التي ذكرت لأول مرة عند بطوليمايوس[96] فإنها هي الأخرى قد كشفت عن ماضي سحيق يعود لمرحلة ما قبل الرومان بفترة طويلة.

إن الأبحاث الأثرية التي أجريت في جل المواقع المغربية القديمة قد أكدت هي الأخرى على قدم ظاهرة التمدين بالمنطقة، حيث تم العثور جنوب المستويات الرومانية والبونيقية على آثار حياة حضرية عريقة في القدم[97]. ومما لا يترك مجالا للشك في محليتها أن بعض المدن التي أشارت المصادر الأدبية إليها تحمل أسماء

---

[92] - المصطفى مولاي الرشيد، نفس المرجع والصفحة.

[93] - Strabon, Géographie, III, 1,8.XVII, 3,2 ,6

[94] - Pomponius Méla, III, 10.

[95] - Pline V ,18

[96] - Ptolémée.IV, 1,7.

[97] - يذهب بنعبو مارسيل إلى أنه قد تم العثور على آثار حياة محلية منتظمة، صحيح أنه تنظيم باهت في مجموعة من المجالات، لكنه لم يكن يجهل لا الزراعة ولا أهمية الحياة الحضرية:

« Ainsi, on trouve par delà les couches romaines et puniques, les traces d'une vie indigène organisée : Organisation certes sommaire en bien des cas, mais qui n'ignore ni l'agriculture ni les avantages même de la vie urbaine » Benabou ; Résistance.op ; cit.p.398.

أما فيما يخص الحفريات التي أجريت ببعض مواقع المغرب القديم وثبت منها ان هاته المدن ترجع لما قبل الرومان فهي كالتالي:

-Ponsich.M,Contribution à l'atlas archéologique du Maroc ; région de Lixus.BAM.6.1966.pp.377-92.

-Idem. Kouass , Port antique et carrefour des voies de la Tingitane,BAM.7,1969.

-Idem , Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, paris,1970.

-Euzennat , L'Archéologie marocaine de 1958 à 1960, notice Dchar Jdid, BAM.4,1960, pp.534-535.

-Rebuffat.(R) , Les fouilles de Thamusida et leur contribution à l'Histoire du Maroc, BAM,VIII, 1968-1972, pp.51-56.

-Akerraz et autres , Fouilles de Dchar Jdid, BAM, 14, 1981-82, pp.169-225.

Girard. (S) , Banasa préromaine, un état de la question, A.Af, T.20,1984.

محلية كتوكوليسيدا وتموسيدا وتهالة وغيرها[98]. كما أن المواقع الأخرى تحمل أسماء الأنهار التي أقيمت عليها أو بجانبها كما هو الشأن مع مدن ملوشات[99] وتمودة[100] وزيليس[101] وليكسوس[102] وسلا[103] وغيرها، بل إن التقارب واضح بين أسماء البعض منها وأسماء بعض المجموعات البشرية. كما هو الشأن مثلا بين موقع Boniouricis وقبائل البنيوراي، ثم موقع Getulidare والجيتوليين سكان درعة[104].

لم تبخل اللقى الأثرية على المهتمين بما يزكون به موضوعهم حول محلية مدن المنطقة، فعلى الرغم من أن تأسيس ليكسوس مثلا يقترن دائما بقدوم الفينيقيين إلى المغرب[105]، فإن العثور على شقوف خزفية ذات تأثيرات نيوليتيكية في أقدم المستويات الأركيلوجية بالموقع إضافة إلى بعض الأدوات المعدنية البرونزية[106]، تجعلنا نعتقد أن ليكسوس عرفت استقرارا سكانيا محليا قبل مجيء الفينيقيين إلى المنطقة وليس في القرن الثامن قبل الميلاد[107] أو القرن السابع قبل الميلاد[108] كما كان يعتقد البعض. كما أن الفؤوس الملساء المنتشرة في وليلي أيضا تشهد على أن بدايتها

98- Camps. (G) , Massinissa, ou les débuts de l'Histoire, Libyca .T.VIII , 1960 . p.255.

99 - Ptolémée.IV.1, 7.

100 - Pline.V.18

101- Strabon, III.1, 7 - XVII, 3,6 - Méla, III, 10 - Pline, V.3 - Ptolémée, IV.1, 7. Itinéraire 2 ; Géographe de Ravenne.III.11 .et V, 4.

102 - Scylax.112 , Alexandre Polyhistor apud Roget, le Maroc.op.cit.p.21- Strabon.II. 3.4 - Pline.V.3, 19 - PtoléméeIV.1, 7.

103 - Méla.III,10 - Pline.V, 5 - Ptolémée.IV, 1,2 - Itinéraire ,2. géographe de Ravenne, III, 11.

104- Rebuffat.(R), Les Baniures , un nouveau document sur la géographie ancienne de la Maurétanie Tingitane, Mélanges ,Roger Dion, paris 1974,pp.451-452. et 454-457.

105 - Neimeyer Hans Georg , Lixus, fondation de la première expansion phénicienne vue de Carthage,Coll. Lixus, EFR, n° :166,1992, p.45.

106 - Bokbot. (Y) et jorge onrubia-Pintado , La basse vallée de l'oued loukkos à la fin des temps préhistoriques ,coll. Lixus,1992,p.17 et 21-24.

وحول نفس الموضوع دائما ارجع إلى الدراسات التالية:

Antoine. (M) , La préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes, dans , Bull.de la soc.d'hist.nat. du maroc, 1945, p.361-389

Daugas .J.P. et autres , Le néolithique nord atlantique du Maroc , premier essai de chronologie par la radiocarbone, dans CR. Académie des Sciences de Paris, T. 308, série II, 1989, pp.681-687.

Jodin , Les grottes.op.cit.pp.249-313.

107 - Habibi. (M) , La céramique.op.cit. pp.151-153.

108 - Ponsich. (M) , Recherches.op.cit.p.67.

ترجع إلى العصور النيوليتيكية كنواة للمدينة اللاحقة[109]، كما أن العثور على بعض الشفرات من الصوان في موقع تموسيدة تجعل الباحثين لا يستبعدون أن يكون الموقع قد عمر منذ ما قبل التاريخ[110].

بالإضافة إلى ذلك نجد أن ركام الحلزون وركام الرماد وأدوات من الحجارة المقطوعة تشكل في بعض المناطق طبقات سميكة وممتدة غالبا على مساحة شاسعة، وهو ما يدل على إقامة أجيال متتالية بنفس المكان من جهة، وعلى كثافة الساكنة التي كانت تعيش جنبا إلى جنب من جهة أخرى[111]، مما يستنتج معه أن المنطقة قد عمرت منذ القديم[112]، وأن سكانها قد كونوا جماعات وعشائر متعددة استقرت في أماكن ملائمة[113]، شكلت نواة القرى والمدن المستقبلية في المغرب القديم.

وهكذا نخلص إلى ما قاله أستاذنا محمد التازي سعود" أنه لا الرومان ولا سابقيهم هم مؤسسو المدن المغربية القديمة، غير أن هناك من يعتقد أن لهم إسهامات في هذا الشأن بعد أن وجدت لهم الأرضية الأولية من طرف السكان المحليين. لكن إسهاماتهم لم تكن دائما إيجابية، فمدينة ليكسوس كانت تعرف ازدهارا اقتصاديا وتجاريا مميزا خلال القرن الأخير قبل الميلاد إلى درجة أن الحقبة الرومانية لم تستطع أن تعوض للمدينة عصرها الذهبي الذي عاشته في الفترة السابقة عن العصر الروماني"[114].

---

[109] - Jodin. (A) , Volubilis.op.cit.

[110] - Rebuffat. (R) et autres , Thamusida.op.cit.p.108

[111] - Gsell. (S) , H.A.A.N.T.V.p 28.

[112] - Jodin. (A) , La Maurétanie et les relations Ibéro Punique ,92è congrès nat.des sociétés savantes.Bordeaux, 1957 , paris, 1959,p.215

[113] - Debernath.(A) Payrnal (J.P) , Position stratigraphiques des restes humaines paléolithiques Marocaines, CR. Acad.Scien. de Paris. 1982. T 294, série II.pp.1247-1250.

[114] - محمد التازي سعود، المغرب على عهد يوبا وبطليموس 25ق.م.40م ، .دكتوراه الدولة،الرباط، 1981، ص.17.